تمهيد

هل تؤثر «الشخصيات» و«المذاهب» فى التاريخ؟

بتعبير آخر: هل تؤثر (الذات) فى التاريخ الاجتماعى؟ الذات هنا منظورًا إليها من زاوية السيكولوجيا الفردية والجمعية، ومن زاوية العقائد الاجتماعية والسياسية.

أم التاريخ مدفوع بـ «الموضوع» فقط..؟ أى بالواقع المادى، أى ذلك الواقع الموجود موضوعيًا وفى استقلال عن وعى الإنسان به أو معرفته؟

هذا سؤال قديم جديد فى الفلسفة، وقد أثارته المدارس الماركسية وخلقت من حوله جدلاً فكريًا خلاقًا طوال قرن ونصف قرن، ودارت بشأنه محاورات فى علوم الفلسفة والاجتماع والتاريخ، وذهب المفكرون بشأنه كل مذهب.

وقد تمثلت أهم القضايا التى دار بشأنها الحوار فى قضية الحتمية أو الضرورية. فمن حيث المبدأ، طرح السؤال: هل هناك حتمية أو ضرورة فى الطبيعة والمجتمع أصلاً؟

وفى المجتمع: هل هناك تطور أو تقدم حتمى أو ضرورى؟ وفى حالة الإجابة بنعم، فإن أصحاب الإجابة اختلفوا حول معنى الحتمية: وهل هى حتمية موضوعية خالصة، مدفوعة بالواقع الموجود موضوعيًا، أم هى حتمية ذاتية أساسًا أى مدفوعة بإرادة الإنسان أو أفكاره أو رغباته؟ أم الحتمية والضرورة قائمة على مزيج من الذات والموضوع؟

وإننا لنميل إلى الاختيار الأخير. فنحن إذ نسلم بضرورة التطور أو حتمية التقدم الاجتماعى لبنى الإنسان، فإننا نميل إلى القول أن هذه الضرورة أو الحتمية لا بد أن تقوم على الحوار الخلاق بين الإنسان ومحيطه الطبيعى - الاجتماعى، أى واقعه. وإنما يتم الحوار بالإرادة، الإرادة الاجتماعية للجماعات الاجتماعية، والقائمة على مصالح اجتماعية بعينها، لقوى اجتماعية محددة، تتولد لديها اتجاهات وميول فكرية تتحصل فى العقيدة أو (الأيديولوجيا)، وتساندها حركات منظمة أو غير منظمة، وأسلوب معين للعمل.

فهل ترانا اقتربنا الآن من موضوع هذا الكتاب؟

يبدو لنا ذلك، فإن موضوعنا هنا هو شخصيات ومذاهب فكرية ، دارت فى فلك سائر بين الثقافة والسياسة، وكانت لها فاعليتها الاجتماعية القوية على المستوى العربى عمومًا والمصرى خصوصًا.

وقد قُدّر لنا أن نتناول فى مناسبات متفرقة عديدًا من الشخصيات والمذاهب النافذة فى

تاريخنا العربى والإسلامى، البعيد والقريب، فارتأينا أن نجمعها معًا بين دفتى هذا الكتاب. فلعله أن تتسكب منه أنوار تضىء طريق الأجيال الشابة نحو المستقبل.

وينقسم الكتاب إلى بابين: يتناول الأول شخصيات عربية متنوعة فى طابعها ودورها، من على بن أبى طالب إلى طه حسين إلى عبدالناصر، إلى ساطع الحصرى.. إلخ.

أما الثانى فيعرض لبعض الرؤى الفكرية المنبثة فى شواهد تاريخ قديم كأبى الهول والهرم، وفى معالم فكر معاصر مثل مفهوم (التحديث) والذى نعارضه بمفهوم آخر مقابل هو (استئناف التطور الحضارى، العربى الإسلامى)، ومثل مفهوم (الليبرالية).

ونأمل أن يلتئم شمل الشخصيات والمذاهب التى يؤلف بينها هذا الكتاب ليكون منه فائدة ترتجى ونفع قريب.